الأستاذة تاجي رضا رمال

أهمية التربية والمشكلات المعاصرة...

تباينت آراء المربين والمفكرين في تحديد معنى التربية وأهدافها.

ومن أهم النّظريات الّتي قيلت في التربية:

- إنّها إيصال مختلف المعلومات والمعارف إلى عقل المتعلم أو تعويده طريقة تحصيل هذه المعلومات.
- إنّها عملية تتفتح بها قابليات المتعلم كما تتفتّح النباتات والأزهار.
- إنّها عملية ترويض عقلي، فكما أنَّ عضلات الجسم تقوى بالرياضة، كذلك ملكات العقل تقوى بدراسة مختلف المواد.
- إنَّها مساعدة الفرد على تنمية جسمه وعقله وخُلُقه تنمية صحيحة، وتساعده على أن يكون مواطنًا صالحًا مفيدًا لمجتمعه، وقادرًا على أداء الواجب العام والخاص.
- التّربية هي إعداد للحياة الكاملة. (هربرت سبنسر)
- هي تنظيم القوى البشرية عند الإنسان تنظيمًا يضمن له حسن التّصرف والتّكيف في عالمه الإجتماعي والمادي (وليم جيمس).

ولعل أقرب نظرية إلى الشّمول تلك الّتي تحدّد التّربية بأنّها مساعدة الفرد على التكيف والتفاعل مع بيئته. وهذا التحديد يستقطب جميع ما قيل في تحديد أهداف التربية فمساعدة الفرد على التكيف والتفاعل مع بيئته تتطلب مساعدته على تنمية جسمه وعقله ومواهبه، وتربية ميوله، وتهذيب خُلُقه، واكتساب عادات حسنة ومهارات نافعة، وإصلاح سيرته، وتكييف ذاته مع بيئته، واصلاح بيئته الإجتماعية، وتكييف البيئة الطّبيعية وإخضاعها لإرادته، وتنمية مواردها،

وتكييفها حسب أهدافه وحاجاته. وبالإختصار إعداد نفسه للحياة في بيئة معينة يتفاعل معها، وتتفاعل معه.

يتضح مما تقدم أهمية التكيف مع البيئة كهدف أساسي من أهداف التربية، فهو يكاد يضم تحت لوائه جميع التحديدات والمبادئ والأهداف للتربية، وأهمها مساعدة الإنسان على إعداد نفسه جسميًّا وعقليًّا وخُلُقيًّا إعدادًا يجعله قابلاً للقيام بالمهام الّتي تنتظره في الحياة، وليتلاءم تلاؤمًا إيجابيًّا مرنًا مع بيئته الطّبيعية والإجتماعية.

وللمدرسة الحديثة الدور الأول في تربية النشء وإعداده للحياة إعدادًا كاملاً وصحيحًا من النواحي الإجتماعية والأخلاقية والثقافية والعلمية. وعلى مدى نجاح المدرسة في عملها التربوي الخلاق يتوقف تقدّم النشء ورقيه بل تقدّم الأمة، ورقي الوطن.

ففي المدرسة الحديثة، يفهم الولد واجباته الوطنية، ويدرك مسؤولياته الإنسانية، ويتعلّم طرق الخدمة العامة، ويتعرّف إلى أصول التعاون المنتج مع مواطنيه من أجل خير المجتمع وإسعاده، فينشأ محبًّا الواجب، ومقدرًا المسؤولية، ومؤثرًا الخدمة العامة، ومؤمنًا بالتعاون.

وفي المدرسة الحديثة يتربى المواطن الصالح الّذي سيخدم بلاده ومجتمعه في مختلف المجالات: عاملاً قويًّا، وفلاحًا نشيطًا، وجنديًّا شجاعًا، ومربيًّا مخلصًا، وكاتبًا مبدعًا، وشاعرًا ملهمًا، وعالمًا فذًّا، وصحافيًّا شريفًا، وطبيبًا بارعًا، وسياسيًا فطنًا، وحاكمًا أمينًا.

وكلما عظم دور المدرسة عظم دور المسؤولين عنها والعاملين فيها من مدير ونظار ومعلمين...

فعلى سبيل المثال إنَّ تعليم القراءة للصغار عمل شاق يحتاج إلى معلم يمتاز بالخبرة والمهارة وقوة الإرادة والصّبر، ويتطلب منه استعمال أحسن الوسائل وأجدى الطرق ليصل إلى

غايته، لأنَّ الغاية من القراءة هي تمرين ذهن التّلميذ على الإنتقال من أشكال الحروف إلى أصواتها، فإلى الألفاظ المؤلفة منها، ثمَّ إلى المعاني الّتي ترمز إليها، وإلى المفاهيم المختلفة الّتي تحمل الألفاظ والجمل..

والقراءة من أهم الدّروس في المدرسة لأنّها ركيزة تعليم جميع الدّروس بلا استثناء سواء أكانت اللغة المعتمدة هي العربية أو الأجنبية، ولأنّها تمكّن الولد من اكتساب المعرفة بل القراءة مفتاح كل عمل في الحياة، ومن جهِلِها إنسدت في وجهه جميع السّبل وعاش خانعًا ذليلاً.

فالقراءة السّليمة تمكّن الطّالب من ولوج باب الحياة بأمان واطمئنان، وتتعدّد وسائل تعلّم اللغة من دروس المحادثة اللغوية إلى الملموسات والمحسوسات والصّور واللوحات...

ومما تجدر الإشارة إليه أنّه في الآونة الأخيرة بدأ قطاع التّربية يتعرض للكثير من المشكلات الّتي تحول دون تحقيق الأهداف التّربوية المرجوّة منه.

من هذه المشكلات:

- فصل المعلم عن تلاميذه، والإضطرار للتعليم عن بعد، وما كان لهذا الإجراء من نتائج غير مرضية خاصة في المراحل الأولى للتعليم والتّعلم...

فهذا الإضطرار القسري لعب دورًا بارزًا في تدني مستوى المتعلم، وأصبح يعاني من قصور في تأدية وظائفه، وغياب جو التّفاعل بينه وبين أترابه ومعلميه.

- ومن البديهي الإشارة إلى غياب وسائل التعليم، فالمعلم الناجح نراه في كلِّ مرّة يختار وسيلة جديدة، وكلما أتقن مهنته نراه يكتشف وسائل مبتكرة، كما أنّه يبرع في إيجاد وسائل لم تخطر لغيره على بال...

- كما لاحظنا غياب النشاط المدرسي الّذي كان يقوم به المعلمون والتّلامذة معًا، كإعداد مجلة الحائط، واختيار لجنة تهتم بالإحتفالات المدرسية، كلجان الخطابة والتمثيل ولجان التّحفيز والمكافآت.
- كما لاحظنا خلال هذه المدّة الزّمنيّة غياب التّعاون بين الأهل والمدرسة، وغياب التفاعل بينهما في ما يصبّ في مصلحة التلاميذ.
- وبما أنَّ المدرسة تعتمد في تربية الولد الخلقية على الكشف عن ملكات وقدرات المتعلم، والعمل على إنمائها، وتوجيهها ذاتيًّا واجتماعيًّا وإنسانيًّا توجيهًا كاملاً وصحيحًا، فالإيمان بالله، وحب الوطن، والتعاون في العمل، والصدق في القول، والوفاء بالوعد، والحفاظ على العهد، والإعتماد على النفس ومساعدة الغير، وعرفان الجميل، وتقدير المعروف، والإنتصار للحق، والحرب على الباطل، والإقبال على الخير، والإبتعاد عن الشّرّ، كلّ هذا يتحقق في المدرسة.
- لذلك ولتحقيق النّجاح التّربوي لا بدَّ من وجود (مدرسة – معلّم – تلميذ) وإلاَّ حصل خلل في العمليّة التّربويّة الّتي تهدف إلى تخريج مواطن صالح للحياة.
- ومما يجدرلفت النّظر إليه تدني مستوى أجور المعلمين، حتّى أصبح المعلم بالكاد يستطيع تأمين احتياجاته الضّرورية، ولجوء القطاع التّربوي إلى إعتماد الإضراب عن العمل كوسيلة ضغط على الدولة فكان التلاميذ هم الضّحية.
- لقد لعب وباء كورونا دوره في إبعاد المعلّم عن تلاميذه، ثمَّ جاء دور تدني الأجور ليكمل المشكلة ويزيد في تفاقمها، فأصبح المعلم في وادٍ والمتعلم في وادٍ آخر...
- كما نشير إلى الإرتفاع المستمر في ارتفاع سعر صرف الدّولار الّذي لعب دورًا مهمًا في عدم تمكن كثير من التلاميذ من الوصول إلى مدارسهم بسبب ارتفاع تكلفة المواصلات...

كلّ ذلك ألقى بظلاله على القطاع التربوي وعلى الواقع المعاش، فالمعلم يعاني والتلميذ أكثر معاناة، ولا حلول تلوح في الأفق...

إنطلاقًا من هذا الواقع المؤلم، على الدولة أن تسارع إلى إيجاد الحلول، ليعود فيجتمع شمل المعلم بتلاميذه، ويعود القطاع التّربوي لتأدية دوره والعمل على الإرتقاء بالوطن إلى أعلى المستويات لما لهذا القطاع الحيوي من دور في إعداد الأجيال للحياة والمستقبل البنّاء والسّعيد.

المشروع التربوي خير مشروع تخطّط له كلّ المؤسسات التعليمية لأنَّ نجاحه نجاح للمجتمع بأسره وإرتقاء بكلّ أطيافه، فكلما تألّقت التّربية تعافى المجتمع، وإذا ما تعافى المجتمع دبت الحيوية في عروقه وأصبح قادرًا على العطاء والإنتاج، وكلما تقهقرت التّربية خبا بريق الوطن، ووجدنا أنفسنا وجهًا لوجه أمام خطر ينذر بتراجع الفكر وإنحسار الرؤية.

والتربية متلازمة مع كلّ نشاط بشري وموجهة له، والحاجة إليها ملحّة، وهي ضرورة من ضرورات الحياة وليست التربية مشروعًا مؤقتًا، قد ينتهي بمئة عام أو ألف عام، ولكنّها مشروع مستمر وحيويّ ومتجدّد.

والتربية ليست مجرد وسيلة للمعرفة فحسب، بل هي وسيلة لتوليد وإبداع أدوات الإنتاج المعرفية، ومع هذا فإنَّ التّربية لم تحظَ بالإهتمام المطلوب في حاضرنا هذا على الرّغم من أنّها المرتكز والأساس الّذي تشاد عليه هيبة الوطن وأمجاده وحاضره ومستقبله.

المشروع التربوي لا يكتب له النّجاح إلاّ عندما يؤمن القائمون عليه بمقاصده القريبة والبعيدة، مع بذل قصارى الجهود في سبيل تحقيقه.

يقول أرسطو:" جذورالتربية مُرّة ولكن ثمارها حلوة".